وكان القانون يومئذ صريع الجاه والهوى ، فمن كان ذا جاه أو حماية استطاع أن يجرى القصاص لنفسه وأن يستبيح دم خصومه

واستمر بنفونوتو حيناً يقوم بخدمة البابا ، فأعاد صنع التحف الرسولية كما كانت قبل الحصار ، وكلفه البابا بصنع تحف أخرى ، فوضع رسومها ونماذجها ، وكان البابا دائماً فارغ الصبر يستحثه على السرعة ، وبنفونوتو لا يدخر وسعاً فى العمل ؛ وأصابه ذات يوم مرض فى عينيه ، وعاقه عن العمل حيناً ، فغضب البابا واعتقد انه يتقاعد عن إتمامه قصداً ، وكان ثمة بعض رجال البطانة ممن يحقدون على بنفونوتو ، ويستكثرون عليه هذه الرعاية ، يدسون دائماً فى حقه ويلتمسون الفرص لاحفاظ البابا عليه بحجة انه مقصر فى أعمال قداسته وانه كثير الحب للمال لا يقنع أبداً بما يدفع اليه من الأجور والهبات ، وانه كثير الادعاء والغرور ؛ فأثمرت هذه السعاية ثمرها ، وطلب البابا من بنفونوتو ما لديه من تحفه ، فامتنع بنفونوتو من تسليمها بحجة انها لم تتم وانه لم يقبض أجرها ، فقبض عليه بأمر البابا ، وأخذت التحف قسراً عنه ، ثم أطلق سراحه ؛ بيد أنه كان قد فقد عطف البابا . فحاول أن يجد يومئذ عزاءه فى الحب وكان قد تعرف بسيدة صقلية ذات ابنة حسناء ، وهام بحب الابنة ، واعتزم أن يختطفها ويفر بها الى فلورنس . ولكن الأم شعرت بمشروعه ، فسافرت مع ابنتها خلسة الى صقلية ؛ ولجأ بنفونوتو الى ساحر فى رومة ليعاونه على الاجتماع بحبيبته ، ولبث أياماً يحضر الجلسات السحرية خارج رومة ؛ ولكنه لم يفز طبعاً ببغيته . ثم نسى غرامه ، ووجد عزاءه مرة أخرى فى فنه وفى التماس صنع بعض الحلى والتحف النادرة التى تدلل على أنه أستاذ عصره ، وأنه لا يجارى فى ابتكاره وبراعته .

« للبحث بقية »

محمد عبد الله عنانه
المحامى

الرسالة فى شهور الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

دق على الخشب

أو « بص وراك »

من عبارات الدعاء والتشميت لجلب الخير وطرد الشر عند الأنجليز قول الواحد منهم « مسّ الخشب » أو « دقّ على الخشب » كما نقول نحن « بص وراك » كأن هذا المسّ أو هذا الدقّ يطرد الشيطان أو العفريت الذى يتحفز غير منظور وغير مشعور به لقطع الخير عن أهله . يراد به أن يكون كالبسملة عند المسلمين أو كذكر الصليب عند المسيحيين ضماناً لحسن البدء وحسن الختام

وقد رأينا مقالاً لعالم انجليزى بهذا العنوان حاول فيه تعليل هذا المسّ وتسلط الخرافات على الناس قال :

« كلما مرّ يوم رأى العالم وقد عراه الدهش انه لا يزال فى القرن العشرين أناس يؤمنون بالسحر . أما أنا فلا أفهم قدرة الناس على أن تدهشهم هذه الحوادث التى تتكرر فى مدة قصيرة

ففى سنة ١٩٢١ كان حديث القوم عندنا ذلك المنزل المسحور الذى كانت فيه قوى غير منظورة تبعثر الأثاث والرياش فى جميع جوانبه ، وفى سنة ١٩٢٦ اتهم بعضهم بالسحر فى محكمة ملون ، وفى سنة ١٩٢٨ روع الناس بوقائع سحرية فى ولاية بنسلفانيا الأمريكية .

هذا بعض من كلّ ، وهم كلما سمعوا بحادثة من هذا النوع دهشوا لها ايما دهش وقالوا انها مستحيلة ، ومن التخرص والأحاديث الملفقة . ثم تراهم يدقون على الخشب ويحاذرون المرور تحت السلالم الخشبية ويلقون الملح من فوق أكتافهم الى غير ذلك ، هذا كله مع علمنا بأن السحر خارج عن دائرة العقل والحقائق العلمية

* * *

فان كان ذلك كله مستحيلاً وخارجاً عن دائرة العقل فكيف قوى على البقاء آلافاً من السنين ، على حين أن خصوم السحر والسحرة جعلوا ديدنهم فى كل زمان ومكان القبض على السحرة وحرقهم أينما وجدوهم . فهل هذا كله مناقض للعقل ؟

كنا منذ مئة وخمسين سنة نقول إن طيران الانسان مناقض

للعقل ، وكنا منذ عشرين سنة نقول ان من مناقضات العقل جلوس امرئ في منزله بلندن ينصت إلى عزف الموسيقى في برلين

وقد علل بعضهم هذه الغرائب بقوله إنها من فئة الحقائق التي تخضع لناموس طبيعي مجهول ، ومتى يعرف هذا الناموس تصبح الغرائب حقائق لا علاقة لها بالسحر ، لأن السحر لا يخضع للنواميس الطبيعية

وقد تكون هنالك نواميس نجهلها ، ومع ذلك فهي تعمل عملها كل يوم أمام عيوننا

وفي سنة ١٧٧٠ كان الناس يسمون التنويم المغناطيسي سحراً أي ضبط انسان لحركات انسان آخر وأعماله وهو يجهله تمام الجهل فلا يمكن أن يقال أن بينهما تواطؤاً وتدبيراً سابقاً

ثم جاءت سنة ١٧٧٨ فسموه بالمسمرزم وسلموا به جدلاً وعلى كره منهم كما نسلم نحن الآن بالتليباتي أي انتقال الأفكار وننتظر ناموساً طبيعياً لتعليله ، ولكن هذا الناموس لم يكشف بعد ونحن نسميه في هذه السنة ، سنة ١٩٣٤ بالهبنوتزم . فهل نستطيع أن نعلل بناموس طبيعي كيف يتمكن بعض الناس وفي أيديهم غصن من شجر البندق من أن يدلونا على ينابيع ماء تحت الأرض التي يقفون عليها وذلك بانحراف الغصن فجأة في أيديهم ؟

وهل نستطيع كذلك أن نعلل تعليلاً طبيعياً حوادث شفاء المرضى والمفلوجين والمقعدين والمبتلين بسائر العلل في كهف لورد وتربيبه (في فرنسا) فان كنا لا نستطيع ذلك وجب علينا الايمان بالسحر ونبذ القول اننا نرفضه لأنه لا يعلل بناموس طبيعي نعرفه

ثم ماهي هذه التي يسمونها حقائق علمية . أنا لا أعرف كثيراً منها ، وإنما أعرف كثيراً من المذاهب والآراء العلمية . ففي أيام تلمذتنا كان من الأوليات أو البديهيات قولهم « إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين » . ولكننا بعد مذهب اينشتين نعلم علماً ليس بالظن أن ذلك ليس صحيحاً

وكان من الحقائق العلمية في حداثتي أن أهل الكيمياء القديمة كانوا جهلاء وحمقى لأن القاعدة التي كانوا يبنون عليها تجاربهم وامتحاناتهم كانت فاسدة . فقد كانوا يقولون إن عناصر معدن من المعادن يمكن تحويلها الى عناصر أخرى يركب منها معدن آخر . وعليه استدلوا أنه يمكن تحويل معدن ما ذهباً أو فضة باستعمال الوصفة الصحيحة لذلك . وبالفعل استحدثوا الذهب من النحاس ، ولكن نفقات التجربة كانت أعظم من الانتفاع بها عملياً كما أن استقطار الزيت من الفحم كان الى عهد قريب عظيم النفقة بحيث لا يمكن استخدامه تجارياً

وبعد ما تقدمت في السن وجد العلماء أن تحويل المعادن بعضها الى بعض حقيقة علمية كما ظن أهل القرن الثامن عشر لا خداعاً كما ظن أهل القرن التاسع عشر بعده . فصار العالم بعد ذلك أكثر إجلالاً لأهل الكيمياء القدماء وصرت أنا أكثر شكاً في الحقائق العلمية

أما المذهب السحري فخلاصته هي أنه كما أن حولنا قوى عظيمة الفعل كالكهربائية ، وهذه القوى تنتج أشياء لا نزال نجهلها الى الآن كذلك في داخلنا قوى عظيمة الفعل كالهبنوتزم و « التبصير » نستطيع بها بعد تربيتها وإتقانها أن نأتي أفعالاً لا تخطر لنا الآن على بال

ويقول الخبيرون بالسحر إننا نستطيع بهذه القوى أن نخضع جميع الأشياء المادية التي نراها حولنا من شفاء الأمراض والتكهن بالمستقبل . والمعيشة بلا طعام . والعوم في الهواء كما صنع الوسيط دوجلاس هوم في القرن الماضي بشهادة الشهود العدول . ونحكم الانسان في مصيره

وقد قسم المعاصرون الأعمال السحرية قسمين : سموا ما يراد به الخير والرشد السحر الأبيض ، وما يراد به الشر والنكد السحر الأسود . فمن قبيل الأول الشفاء بالايمان وهو الشفاء الذي يجري على أيدي أئمة التبت . ومن قبيل الثاني سحر سحرة أفريقية بين قومهم السود . ومن غريب ما يذكر في هذا الصدد أن الموظفين الانجليز والمبشرين في أواسط أفريقية يعودون منها وهم يعتقدون أن لأولئك السحرة قوة خارقة وإن لم يدركوها ويعرفوا لها تعليلا

وغاية « علم » السحر إن صحت تسميته علماً هي إضعاف شهوة الجسم بسلسلة من أعمال التمرين والرياضة والتقشف اعتقاداً أن « أماتة ماهو مادي انما هي أحياء ماهو روحاني وما وراء الطبيعة فينا . وهكذا نتمكن بالأشياء غير المنظورة من اخضاع الأشياء المنظورة والتحكم فيها » .

ولا نستغرب أن يصدق أهل أواسط أفريقية سحر سحرتهم وكهانة عرافيهم وكهنتهم ونحن نرى الأوربيين الذين يعيشون بينهم مبشرين وتجاراً ومستعمرين يحارون في تعليل بعض الحوادث